

مجلة العربي

(١٧)

الجزء ٥ أيار سنة ١٩٢٢ م الموافق ٤ رمضان سنة ١٣٤٠ هـ المجلد ٢

غابر الاندلس وحاضرها

(١) صدر الكلام ومصادره

زرت في الشتاء الماضي (١٣٤٠ - ١٩٢٢) بعض امهات مدن الاندلس ، فارادني غير واحد من الاحباب على أن أحدثهم بطرف مما شاهدت في ربوعها من بقايا حضارة العرب ، فاجبتهم إلى رغبتهم ، شاكرآ حسن ظنهم ، وقد رأيت ان أشفع مشاهداتي ، بشيء من مطالعاتي ، عن هذا القطر ليتعرف القارئ من الغابر وجه الحاضر ، ويقيس في الجملة ما كان هناك في عهد أمتنا ، على ما هو كائن اليوم في عهد غيرهم ، اذكر ما أثره العرب في تلك القاصية من حضارة ، وأثله من مجد خالد على جبين الدهر ، والسبب الذي به ارتفعت الاندلس حتى عدت أرقى مملكة في عهد شبابها ، والاعراض التي عرضت لها ، فهرمت فزال سلطانها ، وتداعى عمرانها ، وابدع سكانها ، وربما نفعت في الأخلاف سيرة الأسلاف ، خصوصاً في أرض لم يكنفوا بأن فتحوها ، بل عمروها وتديروها ، وحكوها واحكموها ، ومدارس حياة الأجداد ، تربي أخلاق الابناء والاحفاد ، يصيبون فيها حكمة بالغة ، وموعظة حسنة ، والتاريخ يلقي الفكر بالجديد ، وينير الطريق بالتليد ، والله وارث الأرض ومن عليها .

وهاك ما رجعت إليه من الكتب والرسائل في تأليف الفصول التالية ومنه تعالى
استمد المعونة ومن الراسخين في العلم تصحيح ما عساهم يعثرون عليه من الهفوات .

- (١) طبقات الأمم لصاعد الاندلسي (طبع بيروت) (٢) نفح الطيب المقرئ (مصر)
- (٣) المعجب في تلخيص أخبار المغرب للمراكشي (ليدن) (٤) قلائد العقيان للفتح بن خاقان (مصر) (٥) مطمح الأنفس له (الاستانة) (٦) البيان المغرب في أخبار المغرب لابن عذارى (ليدن) (٧) الاحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب (مصر) (٨) رقم الحلل له (تونس) (٩) الحلل الموشية له (تونس) (١٠) الذخيرة في شعراء الجزيرة لابن بسام (مخطوط) (١١) أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر (مونيخ) (١٢) التعريف بالمصطلح الشريف لابن فضل الله العمري (مصر) (١٣) المسالك والممالك لابن حوقل (ليدن) (١٤) احسن التقاسيم للعقدي (ليدن) (١٥) كتاب البلدان لابن واضح اليعقوبي (ليدن) (١٦) تقويم البلدان لأبي الفدا (باريز)
- (١٧) أخبار مجموعة في فتح الاندلس وذكر امراءها رحمهم الله والحروب الواقعة بينهم (مجريط) (١٨) الجزء الثاني والعشرون من كتاب نهاية الارب في فنون الأدب للنويري وفيه أخبار ملوك الاندلس من العلويين والامويين ومن ملك بعد بني أمية إلى حين انقراض الدولة العبادية (غرناطة) (١٩) الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية (الجزائر) (٢٠) كتاب محمد بن تومرت مهدي الموحدين (الجزائر) (٢١) عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المئة السابعة ببجاية للغبريني (الجزائر) (٢٢) المؤنس في أخبار افرقية وتونس لابن دينار (تونس) (٢٣) ديوان ابن حمديس الصقلي السرقوسي (رومية) (٢٤) النجوم الزاهرة لابن تغري بردي (ليدن) (٢٥) العيون والحدائق في أخبار الحقائق (ليدن) (٢٦) تاريخ السعودي (باريز) (٢٧) تاريخ السكامل لابن الاثير (مصر) (٢٨) تاريخ ابن خلدون (مصر) (٢٩) الحلة السيرة لابن الابار (ليدن) (٣٠) كتاب القضاة بقرطبة للخشني (مجريط) (٣١) تكملة التكملة لابن الابار (مجريط) (٣٢) التكملة لكتاب الصلة لابن الابار (الجزائر) (٣٣) صبح الاعشى للقلقشندي (مصر) (٣٤) معجم البلدان لياقوت الحموي (ليبسليك) (٣٥) المكتبة العربية الاندلسية وفيها ستة كتب وهي الصلة لابن بشكوال وبغية الملتبس لابن

عميرة الضبي والمعجم لابن الأبار والتكملة لكتاب الصلة لابن الأبار وتاريخ علماء الاندلس
 لابن الفرضي وفهرست ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع
 المعارف أبو بكر بن خليفة الأموي الأشبيلي نشرها المستشرقان الأسبانيان كوديرا
 وريبيرا (مجريط) F. Codera et J. Ribera : Bibliotheca Arabico-Hispana (Madrid) (٣٦)
 المكتبة العربية الصقلية لميشل آماري (ليبسيك) M. Amari : Bibliotheca arabo-sicula (Leipzig)
 (٣٧) محاضرة ابن زيدون لأحمد زكي باشا نشرت في السنة الثانية من مجلة البيان
 (مصر) (٣٨) السفر إلى المؤتمر لأحمد زكي باشا أيضاً (٣٩) قصيدة ابن عبدون وشرحها
 لابن بدرون (ليدن) (٤٠) رسالة ابن زيدون وشرحها للصفدي (٤١) ترجمة ابن
 عباد (ليدن) (٤٢) ترجمة ابن زيدون (ليدن) (٤٣) ترجمة ابن عبدون وملوك بني
 الألفطس (ليدن) (٤٤) قاموس الأعلام لشمس الدين سامي (تركي طبع الاستانة)
 (٤٥) مجلة المقتطف (٤٦) مجلة المقتبس (مصر والشام) (٤٧) دائرة المعارف
 الإسلامية (ليدن) Encyclopédie de l'Islam, Leyden (٤٨) تاريخ
 مسلمي اسبانيا لدوزي (باريز) Dozy : Histoire des Musulmans d'Espagne, Paris
 (٤٩) التاريخ العام للأفيس ورامبو (باريز) Lavissee et Rambaud : Histoire générale, Paris
 (٥٠) تاريخ العرب والمغاربة في اسبانيا والبرتغال لكوند (باريز) J. Conde : Histoire de la domination
 des Arabes et des Maures en Espagne et en Portugal, Paris (٥١) تاريخ العرب العام لسيديليو (باريز) :
 Sedillot : Histoire générale des Arabes, Paris (٥٢) تاريخ العرب
 لحوار (باريز) C. Huart : Histoire des Arabes, Paris (٥٣) عجلة في
 تحليل نفوس الشعوب الأوروبية لفوليه (باريز) Fouillée : Essai d'une psychologie
 des peuples européens, Paris (٥٤) المخطوطات العربية في
 الاسكوريال هارتويغ دارنبورغ (باريز) Hartwig Derenbourg : Les manuscrits arabes de l'Escorial, Paris
 (٥٥) الصنائع في اسبانيا

- لكوميز مورينو (مجريط) Gómez-Moreno : El arte en Espana (Madrid) (٥٦) الكتابات العربية في غرناطة لاميلىو لافوانتي اي الكنترار (مجريط) Emilio Lafuente y alcáncara : Inscripciones ar- abes de Grenada (Madrid) (٥٧) دليل اسبانيا والبرتغال لبيدكر (ليبسك) Baedeker : Espagne et Portugal, Leipzig (٥٨) بحث وصفي لمصانع العرب تأليف رافائيل كونتروراس (مجريط) Raphahël Contreras : Etudes descriptives des monuments arabes. Madrid (٥٩) تاريخ الاديان العام لسلمون ريناخ (باريز) Salomon Reinach : Histoire générale des religions, Paris (٦٠) اسبانيا في القرن العشرين لمارفو (باريز) Marvaud : L'Espagne au XXe siècle. Pairs (٦١) الاسبانويون والبرتغاليون في بلادهم لكيلاردي (باريز) Quillardet : Espagnols et Portugais chez Eux, Paris (٦٢) اسبانيا والبرتغال مصورتان (باريز) L'Espagne et le Portugal illustrés. Paris (٦٣) دائرة المعارف الافرنسية الكبرى (باريز) La grande encyclopédie française, Paris (٦٤) معجم لاروس المصور (باريز) Nouveau Larousse illustré, Paris (٦٥) بحث في حياة ابن زيدون لاوغست كور (الجزائر) Auguste Cour ; Ibn Zaïdoun, Alger (٦٦) تعليم اللغة العربية في اسبانيا ليكائيل آسين بلاسيوس (الجزائر) M. Asin Palacios : l'enseignement de l'arabe en Espagne. Alger (٦٧) معجم الكل في واحد أو موسوعات العلوم البشرية Tout en un : Encyclopédie des connaissances humaines (٦٨) دستور في الصنائع الاسلامية لسالادين وميجون Saladin et Migeon : Manuel d' art musulman

(٢) تحية الاندلس

عشقتها ولم تسعدني الايام بامتناع النظر في جمالها ، واستطلعت ظلم أخبارها ،

فروى الرواة عنها عجائب اقلها مما يستهوي النفوس المتمردة ، وبأخذ بجماع القلوب الجافة العاصية ، تفردت بين بنات جيلها بما خصت به من معاني الحسن والاحسان ، فكثرت الخطاب والطلاب ، وهي لا تفتأ تبدي لمن أمّ حماها صنوفاً من اللطف والظرف ، وتحاطب البعيد والقريب بشعر باسم ، وترشقهم بنظرات ، لا تخلو من غمزات ، تريد بها الهزوء بنكبات الزمان ، والاستخفاف بسخافة الانسان .

عشقها منذ عهد الصبا ، وعشق الصبا شديد ، لما قرأته الباصرة من وصف سجاياها وحملته الى البصرة ففكرت فيه ، وتدبرت خوافيه وحواشيه ، وزادني غراماً بها ما سمعت من ان أناساً قبلي أصيبوا بما أصبت به ، وعدّوا النزول في حماها ولو ساعة سعادة العمر ، وحسنة الدهر : العشق فنون وعشقي كان لارض الاندلس ، عليها من كل عربي الف الف سلام ، على مر العصور والايام .

عشقها لكثرة ما تلوت من آثار من درجوا على ادبها من ابنائها وغير ابنائها ، وكانت الخيلة تتصورها في مظاهر صبح بعضها يوم اللقاء ، وآخر كان بالطبع كالخيال ، في الاندلس تم نحو نصف مدنية العرب الباهرة ، وقضوا في ارجائها نحو ثمانية قرون كانت يحملتها وتفصيلها عهد السعادة والغبطة ، ودور ظهور النواذب وارباب الابداع والقرائح ، وكمن امة من امم الحضارة الحديثة على كثرة ما اقتبست واوجدت ، لم يتيسر لها حتى يوم الناس هذا ان تبلغ مكانة الاندلس فكان هذا الصقع في منقطع ارض المغرب وآخر ارض العرب بين البحرين المحيط والمتوسط برهاناً ازلياً على فرط استعداد العرب للعلوم والصناعات وناعياً على من انكروا لافراطهم في الشعوبية فضل هذه الامة على الحضارة .

اقام الغربيون ضروباً من المصانع من بيع واديار ومتاحف ومكاتب ومدارس وجسور وسدود وطرق ومعابر وتماثيل ونصب وبرك ، لكنهم لم يصنعوا على كثرة تفننهم في هذا الشأن منذ عهد اليونان والرومان ، طرزاً من البناء يكلمك ولا لسان له فيقول ، وينظر اليك فيعمل في شغاف قلبك ولا عين له فتتظر . ويطربك بتساوق نغماته من دون ما صناجة ولا وتر ولا الحان . مصانع كثيرة بقيت بقاياها في طليطلة وقرطبة واشبيلية وغرناطة سلبتها الفتن والجمل تارة شطراً من بهائها ، وسالماتها حيناً فابقت

عليها ، أو رمت شيئاً مما اضرت به عوامل الايام وان لم تعد اليها نضرتها الاولى .

سلام على ارض طيبة خصها الخالق باجل الهبات الطبيعية الطيبة ، فلم ينقصها زكاء تربة في نجادها وروهاها ، ولا مياهاً عذبة دافقة من هضابها على شعابها ، ولا أشجاراً باسقة وزروعاً خصبة في سهلها ووعرها ، ولا اعتدال مواسم وجمال اقليم ومصحة ابدان زانها الصانع السهوي بإيحاده ، كازانها الصانع الارضي بإبداعه . وما اجمال الطبيعي والصناعي ، اذا تواعدا إلى الاجتماع في خير البقاع .

ليالي الانس ، في جزيرة الاندلس ، وإيامها الغر ، في سالف الدهر ، فيك قامت سوق الآداب ، بما ارتفعت به رؤوس العرب على غابر الاحقاب ، وكسل في ربوعك الذرق العربي حتى ظن بعضهم انك نسيت كل شيء ماعدا الادب ، وما هذه الآثار الأبدية الاثمة علمك وصناعاتك وزراعتك : سلام على ارواح علمائك وفلاسفتك ونوابغك وادبائك وامرائك ما كان ارجح احلامهم ، يوم سنوا للعرب سنة الاخذ من السمادتين ، وشرعوا لهم شرعة المدنية المثلى ، حملوا فأجلوا من الشرق الى الغرب تعاليم في الدين والدنيا كانت صفوة العقول الى عهدهم فادهشوا من عاصرم وخلفهم من الاجيال ، ونسجوا لهم على غير مثال نسيجاً رقيقاً ، كتبوا لهم فيه سجلاً رقت حواشيه ، ونظاماً متقناً في حكم الانسان للانسان ، يطبع في تاليه إذا تدبره طبيعة حسن الذوق والطبع ، ويفشئه على ارق مثال من الخيال في الكمال والجمال . مثال حي من حضارة العرب في القارة الاوربية عامة وفي شبه جزيرة اسبانيا خاصة ، يفتخر به العرب على اختلاف اصقاعهم وحق لهم الفخر لان الاندلس العربية الاسلامية كانت وما زالت مدرسة الغرب المسيحي نزل طلابه في قرونها المظلمة على علماء العرب فوسعوهم من مكارم اخلاقهم واكرموا مشواهم بما علموهم ، وما اسخى العربي على طالب قراه ، والمعتمصم بحجاءه ، فلما جاء دور الانحطاط ، وازف رحيل ذك الرعيل ، من ارض كان الغرب كله يعدم فيها انقل دخیل ، ابقوا لهم تلك المصانع ناطقة بفضلمهم ، مملئة لهم معاني ليست في معاجم نفائسهم ، ومكذبة على غابر الايام من ينكر المحسوس ، ويغبط الحق لصاحبه ، وبستهويه الغرض ، فيشوه وجه الحق الجميل .

الى اليوم لم يزل في الغربيين اناس يصعب عليهم الاعتراف بمزية للعرب بباعث من

بواعث النفوس اللئيمة ، فلا يكادون يصدقون حق بما ورد عن هذه الامة في كتبهم ،
دع كتبها ، من اعمال هذه الحضارة الغربية ، وما ذاك الاثر الضئيل الباقي من عادات
الاندلس العربية الابرهان جلي على ما كان هناك من عدل شامل ، وعقل كامل ، ونظر
نافذ ، ويد صناع ، اربت على ماعمل من مثلها في سائر البقاع والاصقاع .

(٣) تقويم الاندلس

اخذت العرب اسم الاندلس من اسم سكانها الاصليين الفانداليس Vandales
فقالوا فانداليسيا او فاندالوزيا Vandalitia أو Vandalusia واطلقوا عليها اسم
الجزيرة من باب التغليب فقالوا جزيرة الاندلس كما قالوا جزيرة العرب وماهي في الحقيقة
الا شبه جزيرة لاتصالها من أقصى الشمال بحبال البيرينات أو الشنايا كما كان يعرفها
العرب ، قدروا القسم الجنوبي من شبه جزيرة فانداليس أو ابيريا أو اسبانيا بمسيرة ثلاثين
يوماً طولاً وزهاء عشرين يوماً عرضاً يحدها البحر من اطرافها الاربعة الا من الشمال
الشرقي . وميزان وصف الاندلس كما قال ابن سعيد : انها جزيرة قد احدثت بها البحار
فاكثرت فيها الخصب والعبارة من كل جانب .

والاندلس في عرف اهلها اليوم عبارة عن ثماني ولايات ولاية الميرية وولاية
قادش وولاية قرطبة وولاية غرناطة وولاية حولفا؟ وولاية جيان وولاية مالقة وولاية
اشبيلية ومساحتها السطحية ٨٦٦٨٧ كيلو متراً مربعاً وسكانها زهاء اربعة ملايين فهي
نحو خمس اسبانيا الحالية بسكانها ونحو سدسها بمساحتها السطحية . هذا ما يطلق عليه
اليوم اسم الاندلس بيد ان حكم العرب تجاوز ذلك الى برشلونة وما وراءها من الشرق
والى لشبونة وما جاءرها في الغرب ولم يبق في أيدي الاسبانين والبرتغاليين من هذه
الجزيرة التي تبلغ مساحتها زهاء نصف مليون واربعة آلاف كيلو متر مربع سوى
اراض مصخرة ضئيلة من الشمال تعرف ببلاد الجلالقة وآستوريا .

فالعرب لم يملكوا إذا الجزيرة بأسرها حين افتتحوها وانما ملكوا معظمها ولذلك
لا تعرف مساحة الاندلس العربية على التحقيق ويقول المسعودي ان مسيرة عمائر
الاندلس ومدنه نحو من شهرين ولهم من المدن الموصوفة نحو من اربعين مدينة وقال

غيره ان في ارض الاندلس العامر والغامر فكانت من ثم مساحة الاندلس تختلف بحسب تغلب العرب على اعدائهم أو تغلب اعدائهم عليهم وكم من الاقاليم والمدن في الشمال والغرب والشرق دخلت مرات في حكم العرب ثم خرجت عنهم فقد كان عملها لعبد الرحمن بن معاوية في القرن الثاني ثلاثمائة فرسخ في ثمانين ثم صغرت في القرن الثامن حتى اصبحت - كما وصفها العمري - كمفحص القطاة ضيقاً ، ومدرج النمل طريقاً .

لاجرم ان مقام العرب في الاندلس كان غير طبيعي لمجاورتها لأمم قوية الشكيمة بخالفة لها في الجنس واللسان والدين حتى ان عمر بن عبد العزيز لما ولىّ السمح بن مالك عليها امره ان يكتب اليه بصفاتها وانهارها وكان رأيه انتقال اهلها منها لانتقطاعهم عن المسلمين قال المؤرخ وليت الله كان ابقاءه حتى يفعل فان مصيرهم الى بوار الا ان يرحمهم الله وصف المراكشي ما كان في ايدي الاسبان والبرتقال من ارض الاندلس سنة ٦٢١ هـ فقال أول المدن في الحد الجنوبي الشرقي على ساحل البحر الرومي مدينة برشونة (برشونة) ثم مدينة طركونة ثم مدينة طرطوشة والمدن التي على غير الساحل في هذا الحد المذكور مدينة سرقسطة ولاردة وافراغة وقلعة ايوب هذه كلها يملكها صاحب برشونة وهي الجهة التي تسمى ارغن . وفي الحد المتوسط ما بين الجنوب والغرب مدينة طليطلة وكونكة واقليج وطلبيرة ومكادة ومشريط (مجريط ؟) ووبذ وايلة وشقوبية هذه كلها يملكها الادفنش وتسمى هذه الجهة قشتال . وتجاور هذه المملكة فيما يميل الى الشمال قليلا مدن كثيرة أيضاً وهي سمورة وشلنكة والسبباط وقلعرية هذه كلها يملكها رجل يعرف بالببوج وتسمى هذه الجهة ليون . وفي الحد المغربي الذي هو ساحل البحر الاعظم اقيانس مدن ايضاً منها مدينة الاشبونة وشنترين وباجة وشنترية وشتياقو وبابرة ومدن كثيرة يملكها رجل يعرف بابن الربق ووراء هذه المدن بما يلي بلاد الروم مدن كثيرة . ثم ذكر ما يملكه المسلمون لعهده من الاندلس فاورد حصن بنشكلة وطرطوشة وبلنسية وشاطبة وجزيرة الشقر ودانية ومرسية وغرناطة وحصون لركة وبلش وقلية وبسطة ووادي آش والمرية وحصن منكب ومالقة والجزيرة الخضراء وقوم القلقشندي الاندلس في المئة الثامنة فقال ان الاندلس اقامت بايدي المسلمين الى رأس الستمائة سنة من الهجرة ولم يبق منها بيد المسلمين الا غرناطة وما معها من شرق

الاندلس عرض ثلاثة أيام في طول عشرة أيام وباقي الجزيرة على سعتها بيد نصارى الفرنج وان المستولي على ذلك منهم أربعة ملوك الأول صاحب طليطلة وما معها ولقبه الادفونش سمى على كل من ملك منهم وعامة المغاربة يسمونه الفنس وله مملكة عظيمة وعمالات متسعة تشتمل على طليطلة وقشتالة واشبيلية وبلنسية وقرطاجنة وجيان وجليقية وسائر أعمالها. الثاني صاحب لشبونة وما معها وتسمى البرتقال ومملكته صغيرة واقعة في الجانب الغربي وهي تشتمل على لشبونة وغرب الاندلس. الثالث صاحب برشلونة وارغن وشاطبة وسرقسطة وبلنسية وجزيرة دانية وميورقة. الرابع بيرة وهي بين عمالات قشتالة وعمالات برشلونة وقاعدته مدينة بنبلونه ويقال لمكها ملك البشكنس.

هذا في الجملة تقويم الاندلس في القديم وكلها توغلت في سمت الشمال صعب المرور لكثرة الجبال وتراامي المسافات وهي اليوم في الخطوط الحديدية سهلة في الجملة فاذا جئت من مدينة باريز وهو الطريق الذي سلكناه تصل إلى مجريط في ست وعشرين ساعة وهي ١٤٥٥ كيلو متراً ومن مجريط إلى قرطبة ٤٤٢ كيلو متراً ومن قرطبة إلى اشبيلية ١٣١ كيلو متراً ومن غرناطة إلى جبل طارق ٣٠١ كيلو متر ويتأنى اختصار هذه المسافات إذا كانت القطر تقصد إلى البلد مباشرة بدون تنقل أو تعاريج ولكن تقل فيها الخطوط المستقيمة والقاطرات.

(٤) فتح الاندلس

لما فتح موسى بن نصير مولى بني أمية افريقية وما حولها أي تونس وما وراءها سنة ثمان وسبعين للهجرة وبلغ طنجة سار يريد مدائن على شط البحر وفيها عمال صاحب الاندلس قد غلبوا عليها وعلى ما حولها. وكان يلبان أحد ملوك الاندلس لموجدة وجدها على بعض الملوك من قومه في تلك البلاد بعث بالطاعة لموسى ، واقبل به حتى أدخله المدائن بعد أن اعتقد لنفسه ولأصحابه عهداً رضى به ، واطمأن إليه ، ثم وصف له الأندلس ودعاه إليها فبعث رجلاً من مواليه يقال له طريف في أربع مائة رجل ومعهم مائة فارس فسار في أربعة مراكز حتى نزل جزيرة سميت به لنزوله فيها وكانت هذه الجزيرة معبر مراكبهم ودار صناعتهم فأغار على الجزيرة فأصاب شيئاً ورجع سالماً

وذلك سنة احدى وتسعين . ثم دعا موسى مولى له يقال له طارق بن زياد فبعثه في سبعة آلاف من المسلمين جلهم من البربر والموالي ليس فيهم عرب الا قليل فدخل في تلك السفن الأربع في سنة اثنتين وتسعين وأخذت السفن الأربع تختلف بالرجال والحيل وضمهم إلى جبل على شط البحر منيع فنزله وسمي به جبل طارق والمراكب تختلف حتى توافى جميع أصحابه .

ولما بلغت ملك الاندلس رذريق صاحب طليطلة غارة طريف على الاندلس جمع جموعة ، قيل مائة ألف أو شبه ذلك ، فبعث موسى على سفن كثيرة كان عملها بخمسة آلاف مقاتل فتوافى المسلمون بالاندلس عند طارق اثني عشر ألفاً ومعهم بليان في جماعة من أهل البلد يدهم على العورات ويتجسس لهم الأخبار فالتقى رذريق صاحب طليطلة وطارق بن زياد بموضع يقال له البحيرة فانهمز رذريق ثم مضى طارق إلى مضيق الجزيرة فمدينة استجة وحارب فل العسكر الأعظم وهزمه ثم ورد طارق عيناً من مدينة استجة على نهرها على أربعة أميال فسميت العين عين طارق وفرق جيشه فأرسل فرقة إلى قرطبة وأخرى إلى رية وثالثة إلى غرناطة وسار هو في عظم الناس يريد طليطلة ففتحت كلها وكذلك مدينة تدمير وأسرى أحد ملوك الأندلس ومنهم من اعتقد على نفسه أماناً ومنهم من هرب إلى جليقية في الشمال ثم سار طارق حتى بلغ طليطلة وخلي بها رجالاً من أصحابه فسلك إلى وادي الحجارة ثم استقبل الجبل فقطعه من فج يسمى فج طارق . وفي سنة ثلث وتسعين دخل موسى بن نصير في ثمانية عشر ألفاً من وجوه العرب والموالي وعرفاء البربر وقد بلغه ما صنعه طارق بن زياد فحسده وخشي أن ينال شرف الفتح دونه أمام الخليفة من بني أمية . فلم يلبث أن فتح من المدن ما لم يفتحه طارق مولاه فافتتح مدينة شذونة وقرمونة واشبيلية وحاصر هذه أشهراً فهرب أهلها إلى مدينة باجة فمضى موسى إلى مدينة ماردة وقاتلهم عليها أشهراً فصالحه أهلها على أن جميع أموال القتلى وأموال الهاربين إلى جليقية للمسلمين وأموال الكنائس وحليها له ثم افتتح سرقةطة ومدائنها .

ذكروا أن المسلمين انتهبوا إلى مدينة لوطون قاعدة الافرنج ولم يبق لأهل الاسلام شيء لم يتغلبوا عليه مما وراء ذلك الاجبال قرقوشة وجبال بنبلونة وصخرة جليقية فاما

الصخرة فلم يبق فيها مع ملك جليقية إلا ثلثائة رجل تفلوا بالموت والجوع والحصار فلما لم يبق منهم إلا ثلثائة رجل ورأى ذلك المرتبون على حصارهم استقلوهم فتركوهم فلم يزالوا يزدادون حتى كانوا سبب اخراج المسلمين من جليقية وهي قشتالية .

هذه زبدة مما قاله المؤرخون في فتوح الأندلس ولا شك أن قرب سواحلها من شواطئ افريقية قد ساعد العرب كثيراً على هذا الفتح فان الجاز أو الزقاق كما كان يسميه العرب بين البرين بر العدو^(١) وبر الأندلس قريب جداً يسهل معه نقل الذخائر والجيش من افريقية وذلك لأن الزقاق في موضع يعرف بجزيرة طريف من بر الأندلس يقابل قصر مصمودة بازاء سلا في الغرب الأقصى وعرضه اثنا عشر ميلاً ومن الجزيرة الخضراء في الأندلس إلى مدينة سبتة ثمانية عشر ميلاً . والباخرة تقطع المسافة اليوم من الجزيرة الخضراء أو جبل طارق إلى طنجة فرضة الغرب الأقصى في نحو ثلاث ساعات .

وأنت ترى ان معدات الفتح عند العرب كانت قليلة ومع هذا استصفوا الأندلس في مدة وجيزة وذلك لأن الاختلاط القديم المستحكم للجوار بين أهل الأندلس وبين أهل شمالي افريقية وتغلب الأندلسيين أحياناً على بلاد البربر أي الغرب الأقصى والأوسط قد هيأ لسكان البلاد بل لقوادها وحكامها من العرب أن يعرفوا معالم الأندلس ومجاهاها ويقفوا على مواطن الضعف من حكوماتها فقد جاؤوها والاختلاف بين ملوكها على أشده والبلاد قد جاءت قبل مجيئهم ثلاث سنين (من سنة ثمان وثمانين إلى سنة تسعين) ثم وبثت حتى مات نصف أهلها أو أكثر . وإذا صح أن الملك الأعظم في طليطلة جيش على العرب مئة ألف مقاتل وهو مستبعد فان جيش موسى بن نصير البالغ اثني عشر ألفاً قد تغلب عليه لا بعدده بل بما للعرب من الاضطلاع بأمور الحرب هذا وأهل البلاد كانوا

(١) العدو بضم العين السكان المتباعد ويطلق العرب بر العدو على ما سامت الأندلس من شمالي افريقية وبعد عن بلادهم ويعنون بالعدو المغرب الأقصى والأوسط والأدنى أي مراکش والجزائر وتونس . وقال صاحب التاج وبر العدو بالأندلس وإليه نسب شهاب الدين بن ادريس العدوي عن قاسم بن اصبغ قيده الرشاطي . ولعل العدو هذه بلدة من بلاد الأندلس ليست مشهورة والمشهور أن العدو كما قلنا وإيده علماء الجغرافيا من العرب .

في الجلمة يريدون الحسلاص مما هم فيه من سوء الحال ولا سيما اليهود فانهم كانوا قبل بضع سنين قد ذاقوا الأمرين من حكوماتهم ومواطنيهم المسيحيين فلما جاء العرب الفاتحون كانوا أدلاءهم وأكبر رده لهم لعلمهم بأنه ينفس خناقهم بالفاتحين وكان المسلمون كلما دخلوا بلداً جعلوا نصف حاميته من اليهود والنصف الآخر منهم ثقة في أبناء اسرائيل وضعها المسلمون فيهم مدة كونهم في الأندلس .

قولى البلاد المفتوحة عمال الدولة الأموية في الشرق وتعاقب عليها قوادهم ومواليهم منذ سنة ٩٢ هـ وخطب باسم خلفائهم على منابر هائم خطب مدة قليلة للعباسيين^(١) بعد سقوط دولة الأمويين بالشرق حتى إذا كانت سنة ١٣٨ جاء من الشرق هارباً عبد الرحمن ابن معوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان المسمى بالداخل فتغلب بواسطة جماعة من أهل بيته وموالي آل مروان وبما له من العصبية في قبائل زنانة أخواله وكانت والدته منهم حتى استولى على الأندلس وبذل أهلها له الطاعة فاصلح من شأنها ورفع وأبناءؤه وأحفاده من بعده شأن خلافتهم هناك وأجمعت القلوب على حبهم وقل المنتفضون على ملكهم المتوثبون على سلطانهم . ولقد أنصف المنصور العباسي عندما لقب عبد الرحمن الأموي بصقر قریش لأنه « عبر البحر وقطع القفر . ودخل بلداً أعجيباً مفرداً ، فصر الأمصار ، وجند الأجناد ، ودون الدواوين ، وأقام سلطاناً بمد انقطاعه ، بحسن تدبيره وشدة شكيمة » . انقرض ملك بني مروان من الأندلس سنة ٤٠٧ هـ على رأس مائتي سنة وثلاث وستين سنة وثلاثة وأربعين يوماً بعد أن جمعوا الشمل ورأوا الصدع وأحيوا المعالم

(١) دعا عبد الرحمن بن معاوية لنفسه عند استغلاظ أمره واستيلائه على دار الامارة قرطبة ويقال انه قام أشهراً دون السنة يدعو لأبي جعفر المنصور متقيلاً في ذلك يوسف القهري الوالي قبله إلى أن أفرد نفسه بالدعاء . ويقال ان عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم أشار عليه بذلك عند خلوصه إليه فقبله إلا أنه لم يعد اسم الامارة . وسلك الأمراء من ولده سنته في ذلك إلى عهد عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله فهو الذي تسمى بالخلافة بعد سنين من سلطانه ودعي بأمر المؤمنين لما استفحل أمره واستبان له ضعف ولد العباس وانتشار سلطانهم بالشرق وذلك في آخر خلافة المقتدر بالله جعفر بن أحمد المعتضد منهم ذكر ذلك أبو مروان ابن حيان مؤرخ الأندلس .

ونشروا العدل وخدموا الحضارة وكانت ايامهم اعراساً وافراحاً فتفرق الملك بإيدي ملوك الطوائف فكان « كل ملك لما بيده فضبط اشراف العمالات ازمة امورهم وركبوا ظهور غرورهم وتنافسوا في انتحال الاقارب السلطانية فأقوا من ذلك بكل شنيعة » إلى ان قام رأس المرابطين وامير المسلمين يوسف بن تاشفين الممتوني صاحب المغرب الاقصى واعاد للبلاد مع ابنه علي بن يوسف سالف نضارتها ودعا للخلافة العباسية على منابر الاندلس ولم تزل الدعوة للعباسيين وذكر خلفائها على منابر الاندلس والمغرب إلى أن انقطعت بقيام ابن تومرت مع المصادمة في بلاد السوس .

تنفس خناق البلاد بالقوة الجديدة التي جاءت بها دولة المرابطين لشد ازر المسلمين في الاندلس كما عادت اليهم بعض القوة على عهد الموحيدين وكان هؤلاء لا يتوقفون عن نجدة اخوانهم في الاندلس حتى ان الخليفة المنصور من الموحيدين لما دنت وفاته جمع بنيه والموحيدين ووصاهم بوصايا منها: ايها الناس اوصيكم بتقوى الله « واوصيكم بالايثار واليتيمة » اراد بالايثار اهل جزيرة الاندلس وباليتيمة بلاد الاندلس إلا أن أحوال الجزيرة اختلفت في أواخر دولة امير المسلمين علي بن يوسف فوجب ذلك تحاذل المرابطين وتواكلهم وميلهم الى الدعة وايشارهم الراحة وطاعتهم النساء فهانوا على اهل الجزيرة وقلوا في اعينهم واجترأ عليهم العدو واستولى النصارى على كثير من الثغور المجاورة لبلادهم وكادت الاندلس تعود الى سيرتها الاولى بعد انقطاع دولة بني امية فاستدعى عقلاء الجزيرة بني مرين من بر العدو فجاءهم اميرها سنة ٦٥٨ في جيش ضخم فملك بالاندلس ثلاثة وخمسين مسوراً ما بين مدن وحصون وهو أول من ملك العدوتين من بني مرين وجاهد الفرنج فدوخ بلادهم وكانت قبل جوازه الى الاندلس تستطيل على المسلمين وملكوا قواعد الاندلس واكثر حصونها مثل قرطبة واشبيلية وجيان وشاطبة ودانية ومرسية وغيرها ولم تنتشر للاسلام راية منذ وقعة العقاب^(١) سنة ٦٠٩ الى ان جاءت رايته وكانت

(١) هذه الواقعة وقعة العقاب هي المعروفة عند الافرنج باسم لاس نافاس دي تولوزا Las Navas de Tolosa وهي قرية من عمل ولاية جيان اشتهرت بانتصار ملوك ارغن وقشتالة ونافار على العرب سنة ١٢١٢ - ٦٠٩ هـ وقد ضربوا العرب ضربة لم يتمكنوا بعدها من التوغل في بلاد اسبانيا .

الحروب والغزوات متصلة بين العرب واعدائهم في القرن الخامس والسادس والسابع وكثيراً ما يؤدي ملوك العرب الجزية للافرنج بعد ان كان هؤلاء في القرن الاول والثاني والثالث والرابع يؤدون إلى العرب الجزية . ولما اغلظ ابن تاشفين لالفونس الكلام في المكاتبة قال هذا : « يمثل هذه المخاطبة يخاطبني وانا وابي نغرم الجزية لاهل ملته منذ ثمانين سنة وكان ذلك سنة تسع وتسعين واربعائة »

وبعد ان زال حكم الموحيدين من اسبانيا دخلت في حكم محمد بن يوسف بن هود من بطليوس إلى مرسية وقرطبة واشبيلية سنة ٦٢٦ ولما هلك التف المسلمون حول محمد بن يوسف بن الاحمر من أسرة بني نصر فاستولى على الاندلس سنة ٦٢٩ فدام فيه وفي أعقابها نحو قرنين ونصفاً كان الضعف رائد دولتهم أولاً حتى لقد صالح ابن الاحمر الفونس ملك اسبانيا سنة ٦٦٥ على ان اعطاه نحو اربعين مسوراً من بلاد المسلمين من الشرق فقال ابو محمد الرندي يرثي الاندلس ويستصرخ اهل العدو من بني مرين قصيدته المشهورة التي يقول فيها :

دهى الجزيرة خطب لاعزاء له هوى له أحد وانهد ثلثان
اصابها العين في الاسلام فامتحننت حتى خلت منه اوطان وبلدان
فسل بلنسية ماشاً من مرسية وابن شاطبة ام ابن جيان
واين قرطبة دار العلوم فكم من عالم قد سما فيها له شأن

وعاد امر المسلمين فضعف وبنو الاحمر آخر ملوك الاندلس يستصرخون الموحيدين من أهل العدو فينجدونهم حتى رسخت اقدام الملوك من بني الاحمر أو بني نصر في بقعة صغيرة من البلاد جعلوا غرناطة عاصمتها ولما انقرضت دولة الموحيدين اعتمد بنو الاحمر على قوتهم في حماية سلطانهم حتى ضعف امرهم وصححت نية الاسبان على اخراجهم من شبه جزيرة اسبانيا باتفاق ايزابيلا الكاثوليكية وفرديناند واتحاد ملوك ارغن وقشتالة ونافار تحت سلطان واحد وكان خروج آخر ملك من بني الاحمر من بلاد الاندلس سنة ٨٩٧ هـ ويومئذ انتهى حكم العرب هناك .

(٥) عمران الاندلس

في ارض اندلس تلتد نعماء
 وليس في غيرها بالعيش منتفع
 وابن يعدل عن ارض يحض بها
 وابن يعدل عن ارض تحت بها
 وكيف لا يهيج الابصار رؤيتها
 انهارها فضة والمسك تربتها
 وللهوام بها لطف يرق به
 ليس النسيم الذي يهفو بها سحرأ
 وانما ارج الند استثار بها
 وابن يبلغ منها ما اصنفه
 قدميزت من جهات الارض حين بدت
 دارت عليها نطاقاً البحر خففت
 لذلك يبسم فيها الزهر من طرب
 فيها خلعت عذارى ما بها عوض
 ولا يفارق فيها القلب سراء
 ولا تقوم بحق الانس صهباء
 على الشهادة ازواج وابناء
 على المسدامة امواء وافياء
 وكل روض بها في الوشي صنعاء
 والخز روضتها والدار حصباء
 من لا يرق وتبدو منه اهواء
 ولا انتشار لآلي الطل انداء
 في ماء ورد فطابت منه ارجاء
 وكيف يحوي الذي حازته احصاء
 فريدة وتولى ميزها الماء
 وجدأ بها وتبدت وهي حسناء
 والطيور يشدو وللاغصان اصفاء
 فهي الرياض وكل الارض صحراء

« ابن سفر المريني »

كانت شبه جزيرة اسبانيا في عمرائها قبل الفتح العربي منحطة عن عامة الممالك
 الاوربية . حكمها الرومان وكانوا من خير من شاد بنياناً ، واقام في المعمور عمراناً ،
 ومع هذا لم ينلها من عنايتهم كبير امر ، فلما جاء العرب الفاتحون في العقد الاخير من
 المئة الاولى كان عهدهم الاول عهد الفتوح على نحو ما كان عهدهم في الشام قلما التفتوا
 فيه إلى تجويد البناء حتى إذا ورد على الاندلس من الشرق بل من دمشق عبد الرحمن
 الداخل الاموي سنة ١٣٨ هـ نقل مع جماعته اسلوب امته في العمران ، وكان سبقه
 اليها جمهور من الشاميين ، نقلوا اسلوب بنائهم وعاداتهم واصول معاشهم ، فاعتمدوا
 في بناء قصورهم ودورهم على الهندسة الدمشقية في الغالب ، وجعلوا في الدور فناء أو

صحناً في وسطه بركة ماء وعلى جانبيها الازهار والاشجار ، وتقوم بعض طنوف الطبقة الثانية من البناء على عمد من الرخام وغيره ، والدور طبقتان فقط طبقة سفلية للصيف والطبقة العلوية للشتاء ويدخل إلى الدار من دهليز . رسم خطط هذه الدور بادىء بدء مهندسون من الروم ثم اصبحت مع الزمن هندسة خاصة للعرب على ما كان شأنهم في الشام .

يقول بعضهم ان العرب لما وصلوا اسبانيا لم يكن لهم هندسة مخصوصة فقلّ فيهم كالايبانيين الابداع والايجاد ولكنهم تفتنوا في النقش ، واقدم مصانعهم مسجد قرطبة انشأه عبد الرحمن الداخل سنة ٧٨٥ م والنقوش فيه والفسيفساء من عمل صناع من الروم ومن هنا نشأت الصناعة العربية وقذلت في المساجد والبيوع والقصور والحمامات والابرار والابواب الحصينة . ومن اغرب المباني مسجد طليطلة مثال الهندسة العربية وقاعدة منارة مسجد اشبيلية وكثير من الارنجة والابواب . ولما استولى الاسبان على اشبيلية جعل ابن الاحمر غرناطة عاصمته فقام قصر الحمراء وظهرت بدائمه وهو اجمل زهرة من زهرات الصنائع النفيسة التي تفتقت اكمامها بايدي العرب . وظلّ صناع العرب في اسبانيا قروناً بعد ذهاب دولتهم يعملون في المصانع الاسبانية ويدخلون في هندستها بعض اساليهم فاثروا بها تأثيراً عظيماً في الابنية المبنية على الاسلوب القوطي والايطالي (الرئيسائيس) .

ولقد كان للملك الاندلس وامرائها وقوادها وعامة من تولوا خطط الحكم والقضاء والحسبة غرام باستكمال فخامة الملك وتشيد القصور ، وجلب المياه ، وبناء الارصفة ، واقامة القلاع والحصون . بدأ بذلك عبد الرحمن الاول وجرى آل بيته وعظماء ملكته على قدمه في هذا الشأن ومنهم عبد الرحمن بن الحكم (٢٣٨) الذي كان « أول من جرى على سنن الخلفاء في الزينة والشكل وترتيب الخدمة وكسا الخلافة ابهة الجلالة فشيد القصور ، وجلب إليها المياه ، وبنى الرصيف ، وعمل عليه السقائف ، وبنى المساجد الجوامع بالاندلس ، وعمل السقاية على الرصيف ، وأحدث الطرز ، واستنبط عملها ، واتخذ السكة بقرطبة ، وفخم ملكه ، وفي أيامه دخل الأندلس نفيس الوطاء وغرائب الأشياء . ومنهم عبد الرحمن بن محمد الذي قال فيه صاحب العقد : « ان الملك لم تزل تبني على أقدارها ويقضى عليها بأثارها ، وانه بنى في المدة القليلة ، ما لم تبني .

الخلفاء في المدة الطويلة نعم لم يبق في القصر الذي فيه مصانع أجداده ، ومعالم أوليته ،
بنية إلا وله فيها أثر محدث إما تزديد أو تجديد

كانت البلاد نسقاً واحداً في العمران حتى كان لا يرى أيضاً نصيب واخر من العناية
ولذلك كثر عددها حتى قالوا إنه كان على الوادي الكبير فقط أربعة عشر ألف قرية
فكنت على رواية ابن سعيد إذا سافرت من مدينة إلى مدينة لا تسكاد تنقطع من العمارة
ما بين قرى ومياه ومزارع والصحاري فيها معدومة أي في القسم الذي تأصل فيه حكم
العرب وبما اختصت به أن قراها في نهاية من الجمال لتصنع أهلها في أوضاعها وتبييضها
لثلاثين الميول عنها بل هي طراز من مناظر قد اتقنت بالبياض والزخرفة تخطف
بالأبصار عند وقوع شعاع الشمس عليها

لاحق قراها بين خضرة ايها كالدر بين زبرجد مكنون

قويت حركة العمران بالطبع حيث كان يقيم الخليفة والسلطان ولما ابتنى عبد الرحمن
ابن محمد في غربي قرطبة مدينة الزهراء خط فيها الأسواق وابتنى الحمامات والحانات
والقصور والمتنزهات واجتلب إلى ذلك بناء العامة ، وأمر مناديه بالنداء ، ألا من أراد
أن يبني داراً أو يتخذ مسكناً يحوار السلطان فله أربع مائة درهم فتسارع الناس إلى العمارة
فتكاثفت وتزايدوا فيها فكادت أن تتصل الأبنية بين قرطبة والزهراء والمسافة
أربعة أميال .

كان بناء الأندلسيين بالأجر والحجر وكان الحجر عندهم أنواعاً منه الحجري والأحمر
والأبيض والجزع وكانوا ينحتون السواري والعمد من مقالعهم على الأغلب وقيل ان
سواري جامع قرطبة جلبت من البيس القديمة من جنوبي فرنسا وإيطاليا ومن افريقية
والاستانة وسواء قطعت من مقالع الأندلس أو جلبت من القاصية فان في ذلك فضلاً
كبيراً للعرب يدل على معرفتهم الأشياء الحسنة وقدرتهم على حمل هذه الأثقال في البر
وبالبحر مع قلة الآلات الرافعة وقصور علم الحيل عما هو عليه في عصرنا

قال أحد الباحثين من الفرشجة : في اسبانيا ميدان لدرس الصناعة العربية المغربية
منذ بدايتها وكان التردد باديء بدء باديء عليها إلى أن ظهرت في مظهرها هذا على
غاية من الغرابة والظرف . وقال بعضهم إن الهندسة العربية قد أفرغت جهدها في

قصور الحمراء وأنت ما وسعتها الاجادة والظرف بأمثلة تأخذ بمجامع القلوب في العمران
ولولم يكن جل الاعتماد على الخشب والجص في البناء وهما مما تقل متانته لأنت منها
آثار خالدة أكثر مما أنت ولكن مجموعها مدهش غريب يمجّد خيمة العرب الرحل في
البادية . ومن أغرب ما اصطنعوه عمل المقرنص في القباب مؤلفاً من عدة قباب صغرى
متناسقة بدون أن ترى اللحمة بينها والنقش فيها قليل إلا ما كان من جمل نقشت
بالحروف الكوفية أو العربية المشبكة الأندلسية

قلنا ومعظم الآثار التي بناها الاسبان بعد سقوط آخر دولة الاندلس كانت
بأيدي صناع من العرب ابقوا عليهم لقيام مصانعهم وذلك لأن الاسبان كانوا متأخرين
في الهندسة والصنائع النفيسة وأهم ما يتنافس فيه الاسبان إلى اليوم القيشاني فأنك تراه
في كل بيت وكنيسة وحائط ونزل ومدرسة ومتحف وهو أنواع منه ما يجعل على الأرض
ومنه ما يجعل على طول قامة الانسان في الجدران المختلفة وللآجر عندهم شأن عظيم
في البناء وقد يدوم قروناً كما شاهدنا ذلك في خرائب القسطنطينية وبصرى وأكثره من بناء
القرن الأول للهجرة

يصعب تعداد المصانع التي شادها العرب في أوقات مختلفة في الاصقاع التي نزلوها
كما يصعب اعطاء حكم تام على معالمهم لأن كثيراً من بنيان الأندلس عور بتداول
الأيام فصح في مدنها وداكرها قول أحد الأندلسيين في بلنسية وقد عاث العدو فيها

عائت بساحتك الظبا يادار	ومحا محاسنك البلى والنار
فاذا تردد في جنابك ناظر	طال اعتبار فيك واستعبار
أرض تقاذفت الخطوب بأهلها	وتخضت بخرايبها الأقدار
كتبت يد الحدثان في عرصاتها	لا أنت أنت ولا الديار ديار

للبحث صلة

محمد كرد علي



وصف ربوة دمشق

ومتنزهاتها وميدان القبق

وقفت في كتاب (ذخائر القصر في تراجم نبلاء العصر) لابن طولون الحنفى الصالحى المتوفى سنة ٩٥٣ هـ على فصل بديع استطرد إلى ذكره في : وصف ربوة دمشق ومتنزهاتها وما كانت عليه من العمران لعهد ووصف ميدان القبق ودقائق ما فيه . فرأيت أن أنقله إليكم ليكون تنمة لما كتبه صديقنا الكاتب الكبير الأستاذ معلوف .

وانما دعاني لذلك أمران « الأول » اشتغال هذا الفصل على فوائد يعز العثور عليها كل حين حتى في كتب البلدان فلا سبيل إليها إلا بالتجاشها من مثل هذه الدقائق وهو شيء موكول للمصادفات . « والثاني » ان ما بأيدينا من معاجم البلدان كتب قبل القرن العاشر الهجرى فالوقوف على شيء من وصف العمران حوالى ذلك العصر مما يصبو اليه الباحثون في هذا الموضوع . واليسم نص ما ذكره في ترجمة حيدر بن محمد بن جمال العصر أبى ذر^(١) الشافعى قال :

« وسألني عن متنزهات دمشق فقلت له أعظمها الربوة وكان بها دكاكين لسمانين وبواردية وأقساوي وفقاعي وفرن وتنور وأربعة شرائحية وطباخ غير من يأتي إليها من البساتين وغيرها من المتعيشين في الطبالي وغيرها .

وكان بها اربعة مساجد وجامع بخطبة ومدرسة يقال لها المضحية^(٢) موقوفة على مدرس حنفى وطلبته . وكان بها الحمام المشهور فانه من محاسن دمشق ببركة ناهضة وشبابيك شرقية وشمالية وقبلية وغرف . وكان بها مهدان شرقي نهر بردى على الارض وغربيه يصعد اليه بسلم حجر . وكان بها التخت « كذا » وهو قصر مرتفع على سن جبل به قاعة لبوابة وطبقات على هيئة الايوان ينظر الجالس هناك من مسافة يوم لولم يكن حائل وبه مأذنة ومسجد وميضأة وتحت نهر ثورا وفوقه نهر يزيد ويصعد اليه من سلم حجر بناه نور الدين الشهيد للفقراء فان الاغنياء لهم قصور . وكان بها خمسة مقاصف اثنتان في نهر بردى وثلاثة غربيه وفي كل واحد منها بيت المقاصفي وعنده فرش

(١) في نسخة الاصل المؤلف النصر اباذي نسبة الى نصر اباذي المعجم (٢) في الاصل المنبجية .

ومخاد ولحف للمتنزهة . وكان بها مكانان لعينين إحداهما تسمى الملمم قبال المهد الشرقي والآخرى السخنة شمالي المقاصف الغربية وعليها قبة بين نهر بردى والقنوات وهي من العجائب فان ماءها فاتر صيفاً وشتاءً وشمالها اربع عيون تبان عند احتراق الماء ثلثان ماؤها باردا وثلثان ماؤها سخن . وكان بها خانان لربط الدواب قبلها . وكان بها ميضأة كبيرة شمالي المهد الشرقي على حافة بردى وهذا النهر أصل أنهارها السبعة والثاني يزيد والثالثه ثورا والرابع بانياس والخامس القنوات والسادس الداراني والسابع المزي . وكان بها العاشق والمعشوق وهما برجان للحمام في لحف الجبل الغربي وشمالها برج عتيق يسمى العذول .

وكانت هذه الربوة في أول الزمان تقصد بالزيارة ثم تغير أمرها وصار يقع بهـ المنابر وتقصدها الناس يوم السبت والثلاثاء دائماً وبعض الناس يوم الأحد والأربعاء ويقال لها المحفل تطلع إليها فيها الحلقيّة والمشعبذون والمخايلية^(١) والحكوبية وهذا في أيام الصيف وأما^(٢) الشتاء فلها ناس تسمى المجاورين ومع ذلك لا تخلو من الصلاة جماعة في المساجد وغيرها . ثم خربت ثم عمرت وهكذا مراراً والآن بقيت مأوى الوحوش . وفي الوادي شرقيها في طريقها من جهة المدينة قطية وقطية مكان كان به سمان وشراحي ومقاصفي وقد خربت . وشرقيها في الطريق المذكور الجهة وهو مكان على حافة نهر بردى به مسجد ودكاكين للتهيشة ومقصف له مقاصفي عنده فرش ولحف وبركة لها في الربيع وردية « كذا » تقصد وعلى كتفها حمام النزه خربت وعمرت مراراً والآن خراب . وشرقيها في الطريق المذكور المرجة وبها القصر الابلق . وكان من عجائب الدنيا يشرف على الميدان الأخضر شرقيه أنشاء الملك الظاهر ركن الدين عقبه رجوعه من حجته في المحرم سنة ثمان مائة وستين وستائة كذا رأيت هذا التاريخ أعلى بابه الشمالي وعلى أسكفته ضرب خيط من رخام أبيض ووسطه مكتوب عمل ابراهيم بن غنائم المهندس وبابه الآخر ينفذ الى الميدان . وفي واجهته البلقاء ثلاثون شبكاً سوى القماري ووسطه قاعة بأربعة لواوين^(٣) قبلي وشمالي في صدرها شاذروانات وغربي وشرقي في صدر كل منهما ثلاثة شبابيك فالغربيات مطلات على الطريق الآخذ

(١) هم اللاعبون بخيال الظل . (١٢) في نسخة الاصل « في الشتاء » (٣) أي

اربعة إيوانات أو أواوين

إلى الحمام وترتبة الصوفية والشرقيات مطلات على الميدان : وعلى واجهته الشرقية مائة أسد « منزلة صورها »^(١) وعلى الشمالية اثنا عشر أسداً منزلة صورها بأبيض في أسود وشماليه على حافة نهر بردى قصر شيخنا الزين ابن العيني وقبله على الكعجانية (كذا)^(٢) قصر شيخنا قاضي القضاة الشهاب ابن الفرفور وغريبه قصر شيخنا الشهاب ابن الصميدي وكان لكل من هذه القصور بوابون صيفاً وشتاءً وقد خرب جميع ذلك في الدولة العثمانية ولم يبق الا واجهة القصر الابلق الشرقية . وكان من ثم الى الربوة من جهتي واديا قصور وجواسق . وافية لم يبق منها إلا القليل .

وفي هذه المرحلة جرت العادة بان ينصب فيها الذي يرمى عليه النشاب على ظهور الخيل وصفته انه يشتمل على خمس قوائم الاولى المسماة بالركيزة وهي تدق في الارض بدقاق^(٣) لانها كالخازوق لكن في رأسها حديدة مركبة صفة الطوق إن لم توثق بها والا تنكسر وفي أسفلها حديدة كصفة سن الرمح لكن أغلظ منه بشيء يسير ويكون دقها في الارض قدر ذراع . والثانية السفلى وطولها سبع أذرع ونصف وعلى رأسها حديدة مجوفة مركبة فيه طولها نصف ذراع منها مجوف بغير خشب ربع ذراع ويكون رأس الخشبة المركبة عليه هذه الحديدة مدوراً وغلظ هذه الخشبة وجنسها كصفة القنطارية التي يلعب بها وتسمى الرمح ومن جنسه وفي أسفلها بخش فيه سير يربط في رأس الحديدة التي في أسفل الركيزة ثم يربط على رأسها وفي أسفل الركيزة سير يربط به حبل البكرة والا هاتقف ويوثق الرباط والا يحصل فساد في القبق . والثالثة غلظها كغلاظ الاولى وطولها سبعة أذرع ونصف وربع يركب منها في الحديدة المجوفة التي هي في القائمة الثانية قدر ما يصل وصفه هذه القائمة كالقنطارية لكنها أدق من الثانية . والرابعة وتسمى قائمة البكرة طولها كطول الثالثة وفي أسفلها حديدة مجوفة مركبة مثل الاولى وفي رأسها بكرة وفي البكرة حبل وفي قائمة البكرة رزة حديد في وسطها وبعدها رزة ثانية بين الرزتين ثلاث أذرع والحبل الذي في البكرة داخل في الرزتين وفي أسفل القائمة بعد الرزتين

(١) الظاهر ان في العبارة سقطاً وان الساقط بعد لفظ صورها « بأسود في أبيض » وفي نسخة الاصل لا توجد هذه العبارة « منزلة صورها » (٢) وفي نسخة الاصل الكعجانية (٣) في الاصل دقاق

أطناب من قنب أربعة ان لم يدقوا (كذا) في الارض بعد ان يقام القبق والايخاف عليه من السقوط بالهواء وطول كل باع أحد عشر باعاً (١) . والخامسة قائمة دقيقة يوضع فيها القبق بعد الرابعة طولها سبع أذرع توضع في رأس القائمة التي فيها البكرة ثم يربط الحبل في ثلث القائمة وفي أسفلها ويجر في البكرة بعد وضع القبق وارتقاع القبق جميعه ثدثون ذراعاً بالحديد . وأما صفة الرمي عليه فهي ان يمسك المعلم عمود القبق وأربعة أنفس يمسك كل واحد منهم الحبل الذي هو طناب القبق ثم تجر العصا المركبة على القبق بالحبل المركب في البكرة ويربط على الركيزة ويقف الراكب الرامي في رأس الميدان وطوله خمسة وعشرون فرساً^(٢) وهو لابس مطري^(٣) ويحمل في يده وسطه ثلاثة عيذان من نشاب القبق ويعلق القوس في ذراعه الشمال وهو ماسك اللجام ويسوق الفرس في قوة مشواره^(٤) ويشد روحه ويحزق أفخاذه على أجناب الفرس ويبعد المهاز عنها ويأخذ القوس والنشاب بسرعة ويكبر^(٥) واذا قرب الى القبق بقدر طول قوس أو أنفس^(٦) ويمد^(٧) وبطوي^(٨) وكل ذلك في (مشوار) فرسه وهو سائق ثم يصوب بيده الشمال والاسناد تارة بها وتارة باليمين ثم يعود إلى رأس الميدان وهو سائق ويأخذ القوس والنشاب سريعاً ويكبر^(٩) فاذا وصل إلى قرب القبق يميل ويمد تحت الركاب وينهرم^(١٠) ويدور وسطه ويحمل مرفقه على مقدم الامازي^(١١) ويدور يديه ويقلب قبضته الى فوق جهة القبق ويدور وجهه ويرمي على القبق ادتندى^(١٢) رأس الفرس القبق وشرطه نزول السهم تحت القبق وكل ذلك وهو سائق في (مشوار) واحد ويكرر الرمي على قدر خطاه^(١٣) ويختمه بثلاثة أسهم (الاول) من قبل أن يصل إلى القبق ويكبر ويرمي السهم (الثاني) تحت القبق ويكبر ويرمي السهم (الثالث) من أعلى

- (١) لعل الصواب احدى عشرة ذراعاً (٢) لعل الصواب « قوساً » يريد رمية قوس كما يفهم من عبارته الآتية . وهكذا في الاصل (٣) أضرطي في نسخة الاصل ولعلها حطري (٤) عامية بمعنى الشوط (٥) في الاصل ويكبر (٦) عامية بمعنى « أكثر » (٧) لعل في العبارة سقطاً أو تحريفاً ويظهر انها تستقيم باسقاط الواو التي قبل « يد » (٨) لعلها « يصوب » (٩) ويكبر (١٠) ينقتل (١١) وفي الاصل الامازيم ولعلها لا بازيم (١٢) في الاصل تندي ولعله « اعدى » كما سأتى (١٣) بمعنى « كما يشاء ويريد »

الكفل إذا عدى الفرس القبق وكل ذلك في (مشوار) الفرس وطول الميدان المقدم ذكره . ويكون نزول الثلاثة الأسهم متوالية واحداً بعد واحد متصلين وحسن قوة الأسهم^(١) ان يكون أربعين رطلاً بالشامي حتى تنزل الثلاثة الأسهم بعضها وراء بعض من علوسن الأسهم . وفي العود إلى رأس الميدان يرمي أيضاً على القبق ثلاثة أسهم في (مشوار) راجلاً^(٢) (الأول) حين سرفة^(٣) القوس و (الثاني) عند قرب القبق و (الثالث) حين عدت الفرس القبق يلفتها سريعاً ويرمي عليه . والأحسن أن يرمي تارة على قوس زنته^(٤) خمسة وأربعون رطلاً شامياً بنشاب يسمى مجرة وتارة على قوس قوته خمسون رطلاً شامياً أيضاً ويسمى هذا القوس الشرخ وقد رمي على هذه الطريقة بحضرة السلطان الأشرف قايتباي وقد تفرج على هذا الرمي قاضي القضاة قطب الدين الخيضي من قصره بالشرف الأعلى تجاه هذا القبق وكان لهذا القصر سبعة شبابيك من حديد وفي وسطه فسقية منصبة^(٥) وخارجها صفة قمرية بطشطية من حجر المرمر وبقرب هذه الصفة حمام وقد زال هذا كله .

وكان تجاه هذا القبق من جهة القبلة أسفل الشرف القبلي بستان يقال له النمورة وهي اسم لزهو السفرجل في حفلته تهرع الناس إليه للنزهة وكأنه لم يكن هناك .

ومن متزهاتها ميدان الملكي^(٦) وطوله على ظهور الخيل مائة وتسعون فرساً وطول رمي الملكي مائة وأربعة وعشرون قوساً وفيه كومان الأول من جهة الرأس مسنم طوله ثلاثة أقواس والثاني مقابله وطوله أيضاً ثلاثة أقواس وعرض وجه الكوم قوس والبارز بينها ثمانية عشر بعد مائة قياساً^(٧) . وقرب هذا الملكي بستان السيرجي ويعرف بالجودة تهرع الناس إليه في أيام حفلته وهو التفاح لكثرت به . ومنه بستان المرشدية^(٨) بالقابون التحتاني تهرع الناس إليه في يوم خميس البيض للفرجة على زهر اللوز لكثرت به . ومنها^(٩) ست الشام بالوادي التحتاني تهرع الناس إليه في أيام حفلة

(١) لعل الصواب القوس (٢) في الاصل « واحد » (٣) في الاصل « سوق

الفرس » (٤) الغالب في القوس التأنيث وقد تذكر (٥) في الاصل « متسعة » (٦) الغالب انه الملكي بالبهاء (٧) لعله قوساً ولعلها قياساً أو قوساً (٨) في الاصل الرشدية (٩) لعل

الصواب بستان ست الشام

الزهر من حيث هو موجود كزهر المشمش وهو الغالب فيه . ومنها المحلات لدود القز بين عدة أنهر قرب ضريح الشيخ رسلان تهرع الناس إليه في أيام حل جوز القز حتى يصير حريراً للفرجة عليه . ومنها باب كيسان أحد أبواب دمشق تهرع الناس إلى ظاهره في أواخر الشتاء للفرجة على المسابقة بين الخيل في مكان يقال له طابق البرينات^(١) . ومنها الشيخ سعيد^(٢) قبلي المزة تجاه محل استسقاء أهل دمشق وقد أدركت به منبراً من حجر حتى قبته وإلى جانبه محراب من حجر ودائرته حيطان أربعة من ابن يهرع الناس إلى هناك للفرجة على الوادي الفوقاني ذهاباً وإياباً ويزورون الشيخ سعيداً في^(٣) زاويته وفوقه قميص اذا ذكر^(٤) الفقراء يبقى هذا القميص يهتز وان لم يكن هواء وانما يهرعون إلى هناك أيام قطع الأنهر لتعزيلها ورد ماؤها على نهر بردى أسفل هذا الوادي . ومنها قرية عين الفيحة أصل هذا النهر يهرع الناس إليها أيام استواء^(٥) القراصيا فانه لا يوجد بدمشق أحسن منها ولا أكثر ولأجل ذا^(٦) يذهب منها أحمال في علب على بغال إلى سلطان مصر في دولة الجراكسة . ومنها قرية برزة شرقي جبل قاسيون يهرع الناس إليها لزيارة مقام الخليل عليه السلام أعلاها أيام استواء^(٧) تينها فانه لا يوجد اذ ذاك أحسن منه ويكون التين الماسوني^(٨) قد فرغ . ومنها الخنيسيات قبلي مغارة الجزع^(٩) وانما سميت بذلك لأن مبتدأها كان لزيارة الأموات والآن للفرجة يهرع إليها الناس أيام وجود البلج^(١٠) وحب الأس وربما يختصر بعضهم فيجلس عند عين الكرش ويسمى ذلك المكان بالمقصة . انتهى ما أورده بنصه وعامية عبارته .

أحمد تيمور

مصر القاهرة :

- (١) في الاصل (البريكات) (٢) لعل الصواب « مسجد الشيخ سعيد » (٣) وفي الاصل « وهو مدفون في زاويته » (٤) في الاصل « ذكروا » (٥) عامية بمعنى « نضج » (٦) كان (٧) نضج (٨) في الاصل الماسيوني وفي محاسن الشام للبدرى الماسوني (٩) في الاصل « الجوع » وهو الاصح (١٠) لعله الثلج .

جلسة عامة

يوم الخميس في ٢٣ آذار ١٩٢٢ الساعة الرابعة بعد الظهر اجتمع المجمع برئاسة رئيسه الأستاذ السيد محمد كرد علي والاساتذة للشيخ سميد الكرمي وأنيس أفندي سلوم والشيخ عبد القادر المغربي وعيسى أفندي اسكندر المداوف وفارس بك الخوري والمطران ميخائيل بخاش والشيخ عبد الرحمن سلام والشيخ عبد القادر المبارك والدكتور مرشد بك خاطر ورشيد بك بقدونس فذكر الرئيس خلاصة أعماله عن زيارته أوربا ومدارسها ومتاحفها ودور كتبها والاطلاع على حركة الاستشراق العربي فيها قال : كان أم شاعلي لي في فرنسا زيارة مدارس النواحي في القرى للذكور والإناث ومدارس المعلمين والمعلمات على اختلاف طبقاتها ودور الحضانة أو حدائق الأطفال وقد لقيت من القائمين على تلك المدارس كل رعاية ومعاونة وحضرت بالنفس اللقاء الدروس واطلعت على تراتيب تلك المعاهد ولا سيما في باريز وضواحيها مثل سان كلو وسيفر وكلامار . وقد دعيت في باريز إلى حضور جلسة الجمعية الآسيوية برئاسة المسيو سينار Senart العالم المشهور وقد حضرها كثير من اخواننا علماء المشرقيات في باريز فأهل بي الرئيس وحياني وحيا في شخصي المجمع العلمي العربي واستغدت فوائد كثيرة من هذه الجلسة التي خطب فيها اثنان من الأعضاء انتدبتها الجمعية الآسيوية إلى حضور احدي المؤتمرات في اميركا الشمالية فقدا لجمعيتها حساباً علمياً عما شاهداه وواحد منها اخصائي في الآثار المصرية والآخر في الآثار الصينية . وزرت هذه المرة أيضاً مدرسة اللغات الشرقية وتعرفت الى مديرها المسيو بويه Boyer وقد تقفّل وقدمني الى كثير من المستشرقين والشرقيين من هنود وصينيين ويابانيين وفرنسيين يدرسون في مدرسته السنتهم الشرقية .

قال وحضرت في باريز عدة خطب ومحاضرات ودروس المستغلين بآثار الشرق منها دروس احد اعضاء مجمعكم صديقنا المسيو ماسنيون Massignon في (كوليج دي فرانس) وفي جمعية العلماء وهو يتكلم عن الشرق الاسلامي كلام فهم وصحة حكم

وحضرت محاضرة المسيو فرّان Ferrand أحد علماء المشرقيات وناشر كتاب ابن ماجد البصري في الملاحاة العربية واني اقترح عليكم ان يضم هذا الرجل الى اخواننا اعضاء المجمع ليستفيد منه بمحمنا كما اقترح عليكم ضم اربعة آخرين وهم المسيو كليان هوار Huart مؤلف تاريخ العرب وكتاب آداب اللغة العربية وناشر كتاب البدء والتاريخ وغيره المسيو مارسيه Marçais وهو مستشرق كبير يصرف نصف سنته في التدريس في تونس والنصف الآخر في مدرسة اللغات الشرقية بباريز وله عدة مصنفات وآثار ويحسن العربية كما نحسنها ويتكلم كما تتكلمون بطلاقة لا عجمة فيها والرجل الثالث المسيو باسيه Basset عميد مدرسة الآداب في الجزائر وناشر المؤلفات المفيدة واحد مديري تأليف دائرة المعارف الاسلامية والرجل الرابع المسيو ميشوبلر Michaux Bellaire أحد المعارفين بتاريخ الغرب الأقصى واجتماعه وعلومه وناشر الكتب والابحاث المفيدة فيه وهو مقيم في مراكش منذ ثماني وثلاثين سنة وينزل الآن طنجة وقد تزوج بمراكشية من عهد طويل ويعيش عيش المراكشيين ويلبس لباسهم ويصوم معهم ويتأمن بعاداتهم ويتكلم بلهجتهم . والمستشرقون الثلاثة الاخرون يوقفون بمجمعكم ولاشك على امور كثيرة تنفعه من علوم ثلاثة أقطار عربية مراكش والجزائر وتونس او الغرب الأقصى والوسط والادنى .

قضيت في فرنسا شهراً ونصفاً ثم ذهبت الى البلجيكيك فنزلت بروكسل عاصمتها وسألت عن علماء يعنون باللغة العربية فدللت على أحد الرهبان فقصدته في ديره فلم اظفر به . ودروس الاستشراق العربي ضئيلة وان كان بعض الشباب هنا يعنون على ما بلغني بدراسة العربية ولم نعرف بعد المسيو شوفين Chauvin المتوفى ابن هناك رجلاً كبيراً يعتمد عليه من المشغلين من البلجيكيين في المشرقيات العربية وزرت في بروكسل معهد المجمع العلمي الملوكي الذي هو على اتصال دائم مع مجمعكم ببياد لنا مطبوعاته . ولما نزلت هو لائدة كان من اكبر همي ان ازور المسيو سنوك هو رغرون Snouck-Hurgronje من مشايخ الاستشراق في الغرب وقد صرف بضع عشرة سنة من حياته في جادة ومكة المكرمة وهو عارف باحوال الاسلام والمسلمين معرفة تامة ضليع من الفقه والشريعة الاسلامية وحتى انه يعد فيهم إماماً بعد وفاة شيخ المستشرقين صديقنا الاستاذ غولد صهير

Coldziher المجري واني اقترح على مجعكم العالي ان يضم اليه هذا العظيم بعلمه ومكانته في بلاده وجزيرة العرب وجزائر جاوة وما اليها وهو الآن أستاذ العربية في جامعة ليدن خلفاً للاستاذ هوتسا Houtsa عضو مجعكم الذي اعتزل الخدمة وهو اليوم في سن الشيخوخة في اوترخت ولا يزال دؤوباً على العمل ومدير تأليف دائرة المعارف الاسلامية وقد تشرفت بزيارته في بلده وتفضل وكتب لي تقريراً بالفرنسية عن تاريخ الاستشراق في هولاندة والمقصود من تعلم العربية عندهم وسأشره في فرصة أخرى وعسى ان يرضى مجعكم أيضاً بان يضم إليه من المستشرقين الهولانديين مستشرقاً آخر اسمه الدكتور فان اراندونك Arendonk وهو مؤلف تاريخ المعتزلة وله مقالات في الموسوعات الاسلامية وغيرها .

أما في انكلترا فقد زرت في جامعتي كمبردج واكسفورد صديقينا عضوي مجعكم الشرفيين الاستاذين براون ومرجوليوت Browne و Margoliouth وسررت جداً بلقاء الاستاذ بفن Bevan من أساتذة (ترينتي كوليج) أحد معاهد جامعة كمبردج ونشر كتاب مناقضات جرير والفرزدق وغيره من آثار العرب وهو يشتغل بشعر العرب العرباء ومثله بضعة أفراد من علماء المشرقيات في اوربا يتوفرون اليوم على دراسة هذا الشعر واني اقترح عليكم أن تتفضلوا وتفكروا في ضم هذا المستشرق المستعرب إلى جماعتكم ليستفيد منه بجمنا لانه خدم آداب لغتنا خدمة طويلة خالصة وقد زرت مدرسة اللغات الشرقية التي أنشأتها انكلترا في عاصمتها لندرا سنة ١٨١٦ زمن الحرب العامة على مثال مدرستي باريز وبرلين واستدعت شيوخ المستشرقين لتدريس لغات الشرق فيها وهي لا تقل عن ثلاثين لغة ولهجة .

نسيت ان اذكر اسمك اني زرت في جامعة ليدن في هولاندة مكتبتها العربية وهي لا تقل عن ثلاثة آلاف مجلد كما زرت مكتبة المتحف البريطاني في لندن ولاسيا مخطوطاته العربية وزرت داري الكتب في جامعتي كمبردج واكسفورد وفيها أمهات من ألوف من المخطوطات ومنها ما لم نطلع عليه . وقد رت ان ما حفظ من المخطوطات العربية في مكتبة وزارة المستعمرات الانكليزية والمتحف البريطاني ومدرستي كمبردج واكسفورد بمئة الف مجلد ولا تزال في نمو متواصل وهي مفرسة ميوبة طبعت قوائم

المجموعات الاولى منها منذ اكثر من مئة وخمسين سنة ولا تزال تضاف اليها ملحقات كلما توفر منها قسم جديد وينشر ذلك ويستفاد منه بالتأني والدؤوب واعمال علماء الانكليز كاعمال هذه الامة تسير ببطء شديد ولكن على صورة ثابتة متصلة .

وبعد أن تكلم قليلا عن حركة المشرقيات العربية في انكلترا قال : اني زرت مجريط عاصمة اسبانيا واجتمعت بصديقنا الاب آسين احد أعضاء مجمعكم وقد اطلعني في خزانة كتبه على قباطر الجزازات (Fiche) التي جمعها الاستاذ ريبيرا المستشرق الاسبانيولي في تراجم علماء العرب في الاندلس وهي ثلاثون ألف جزازة لثلاثين ألف عالم وقال لي ان الاستاذ البرنس كايثاني عضو مجمعكم في رومية قد استنسخها مؤخرأ وسيطبعها لتعم فائدتها وزرت القسم العربي من خزانة مكتبة الامة وفيه مجموعة لا بأس بها كما زرت خزانة كتب الاسكوريال من اديار القرون الوسطى والقسم العربي منها حديث أخذ غنيمة من احدى سفن ملك المغرب الاقصى على مقربة من اسبانيا وذلك في القرن السابع عشر ولا تقل هذه المجموعة عن الفي مجلد وليس في بلاد اسبانيا مجموعات مهمة من المخطوطات العربية لان رؤساء الدين فيها كما تعلمون يوم فتح صاحب قشتالة الاندلس واستخلصها في القرن التاسع للهجرة من ايدي العرب ظلوا نحو خمسين سنة يحرقون كتب العرب حيث وجدت ليقتضوا بها عليهم وعلى مدنييتهم وذكر الرئيس أشياء كثيرة عن متاحف اسبانيا والاندلس وعن مجموعات خاصة من العاديات والاعلاق النفيسة ثم قال : ولما وافيت برلين كان من أكبر هي استنساخ مخطوطات عربية نادرة من دار كتبها بالتصوير الشمسي ففعلت وأخذت بهذه الطريقة أربعة مخطوطات من برلين وأربعة من مكتبة ميونيخ عاصمة بارفاريا وأكثرها مما يتعلق بتاريخ هذه البلاد بلاد الشام وهي (١) كتاب «الباشات والقضاة بدمشق زمن السلطان سليم خان وبعده محمد بن جمعة المقار أوله الباب الرابع والخمسون وهو قطعة من كتاب (٢) كتاب ايضاح الظلم وبيان العدوان في تاريخ النابلسي الخارج الخوان لحسن بن أحمد ابن عربشاه وهو مسجوع (٣) تراجم الاعيان من ابناء الزمان للعسن البوريني فرغ منه أوائل رجب المرجب سنة ثمان وسبعين والف (٤) تاريخ حكماء الاسلام لظهير الدين البيهقي (٥) كتاب نقش فصوص خواتم الحسكاه واجتماعات الفلاسفة في الاعباد

وتفاوض الحكمة بينهم (٦) تراجم اعيان الطبقة الاولى من القرن الحادي عشر تأليف عبد الرحمن بن محمد بن حمزة واسمه الجواهر والدرر في تراجم اعيان القرن الحادي عشر وهو مسودة المؤلف «٧» تاريخ الامير فخر الدين بن معن تأليف احمد بن محمد الخالدي الصفدي «٨» كتاب الدرر للنعماني وهي نسخة بخط ولد المؤلف غرومة قليلا وذلك لكي نعارض عليها نسختنا المحفوظة في دار الكتب العربية بدمشق ومعلوم اننا نريد ان نطبعها . ولا بدسع الوقت حتى اذكر لكم ما رأيته من المخطوطات العربية النادرة في داري كتب برلين ومونيخ . وامهات خزائن الكتب العربية في المانيا توجد في برلين في دار كتب الامة ودار كتب مدرسة اللغات الشرقية وفي خزانة كتب الحكومة في مونيخ وفي خزائن الكتب العامة في غوتاوغوتنغن وليبسيك ومن اقدر علماء المشرقيات العارفين باللغة العربية عندهم الاستاذ متفوخ Mittwoch والاستاذ ساخو Sachau والدكتور موريتز Moritz والدكتور فيل Weil والدكتور بيكر Becker في برلين والدكتور بر كستر ازي Bergstrasser والاستاذان فيشر وريشار هارتمان Fischer Richard Hartmann في ليبسيك والاستاذ بروكلمان Brockelmann في هالي وقد نقل الى برلين والاستاذ غريم Grimm في مونستر والاستاذ جاكوب Jacob في كيل والاستاذ هيل Hell في ايرلانجين والاستاذ هوميل Hommel في مونيخ والمعلم ليتمان Littmann في توبنغن والمعلم ريتز Ritter في هيمبورغ والاستاذ نولدكه Noeldeke في كرلسروخ والاستاذ ركاندورف Reckendorf في فرايبورغ والاستاذ هور وفتر Horovitz في فرنكفورت وقد اجتمعت ببعضهم ومنهم من اعرفه من قبل وارى من واجبي ان اذكر بجمعكم الغالى بان لنا من اعضاء الشرف في تلك البلاد الاستاذان بروكلمان ومتفوخ فاذا حسن لديكم ان تضموا اليها الاساتذة نولدبكه وهورفتز وهوميل وهارتمان وتم معلومات بمعنا عن الحركة الاستشراقية . وقد زرت في جنيف الاستاذ مونته Montet عضو بجمعكم ومن اساتذة جامعتها كالقيت في القاهرة خمسة من اعضائه وهم الدكتور يعقوب صروف واحمد كمال بك واحمد تيمور باشا واحمد زكي باشا والدكتور او جينو غريفيني Griffini الابيطالي .

ورأيت كل من اسعدني الحظ بالاجتماع بهم من علماء المشرقيات يثنون على عملكم

وعمل اخوانكم في مصر والشام والعراق وغيرها من الاقطار وهم ينظرون فيما تنشرون نظر تدقيق وبحث ويناجونكم من وراء البحار بما يقرأونه من الجرائد ومحاضراتكم في مجلة المجمع العلمي العربي . وقد زرت المخطوطات العربية المبعثرة بل المحفوظة في مكاتب عواصم اوربا وهي لا تقل عن ربع مليون مجلد راهما في فرنسا وانكلترا والمانيا وايطاليا والنمسا وهولاندة والسويد والدانيمرك واسبانيا وبولونيا وروسيا واذا صحت العزيمة على اخذ النواذر من المخطوطات الموجودة في الغرب بالتصوير الشمسي لاتضي على دار الكتب العربية في هذه العاصمة بضع سنين حتى يكون لها منها مجموعة مهمة ويرى فيها كل طالب ومؤلف بغيته من آثار السلف كما تفعل الآن دار الكتب السلطانية بالقاهرة وتصور كل سنة عشرات من الاسفار المخطوطة بهذه الطريقة في النسخ الامينة من المسخ والسلخ .

وبعد ان افاض في هذا الشأن قال : اني صرفت وقتا في زيارة دور الآثار ومعاهد العاديات في جميع المدن التي زرتها في اوربا في سياحتي هذه المرة الثالثة فلما رأيت احتفاظ تلك الامم بعادياتها وتحفظها كتبت الى صاحب السلطة الاول في سورية ألفت نظره الى ما اخشى عليه من اخذ آثار سورية الى خارج البلاد ورجوته ان يتفضل فيأمر من يلزم للاحتفاظ بآثار الشام في امهات مدنه ليحفظ بذلك تاريخها وثروتها كما فعل صاحب الشأن في الغرب الاقصى ومنع اصدار الآثار المراكشية الى الخارج وجعلت في دور متاحف ليستفيد ابناءؤها منها علما وعملا ومادة ومعنى وعساء فاعل بحول الله .

ثم قال وبهذا المقام اسمحوا ايها السادة ان افترح عليكم ضم الاساندة بول Buhl ويدرسين Pederson واوستروب OEstrup من علماء المشرقيات المستعربين في الدانيمرك ولهم مقالات مهمة في الموسوعات الاسلامية وآثار وعناية بلغة العرب والاستاذ هيس Hesse في زورينخ في سويسرا والاستاذ زترستن Zetterstein في اوبسالا في السويد والاستاذ ماكدونالد Macdonald في جامعة هارفرد في اميركا والاستاذ كوفالسكي Kowalski في كراكوف في بولونيا والاستاذ موجيك Mzik في فينمان النمسا والاستاذ موزيل Musil في جامعة براغ عاصمة التشيكوسلوفاكيا

وهو المعروف في هذه الديار بالشيخ موسى الروبلي لانه قضى بضع عشرة سنة مع عرب الرولة ورسم احسن مصور لبلاد العرب وله مؤلفات كثيرة مهمة عن آثار بلاد العرب حازت مكانة عليا عند الباحثين في تاريخ الشرق وعادياته وبذلك يكون لنا اخوان واعضاء شرف في أهم البلاد التي تدرس فيها العربية وتنتشر فيها تركه اسلافنا ويبحث فيها عن مدنيتههم وإذا انضاف إلى ذلك ما زاد وسيزيد في خزانة كتبكم وفي دار الكتب العربية من الاسفار وما اطرد ارساله اليها من مجلات المستشرقين نكون قد خطونا الخطوة الاولى المهمة في سبيل انهاء مجملنا العلمي وتحقيق الآمال في انفاذ الخطة التي اختطها لنفسه منذ أول تأسيسه وإذا كان هو الآن احداث مجمع علمي في العالم فلا يمضي زمن طويل حتى يشب وينمو بفضل معاونتكم وفي ظل انوار معارفكم ومعاوضة حكومة البلاد وفقها الله .

وبعد ذلك تناقش الاعضاء قليلا في مسألة ضم الاعضاء الجدد الى المجمع . وقال الاستاذ فارس بك الحوري : أيها الأستاذ الرئيس ان المجمع لا يعرف أكثر هؤلاء الذين رشحتهم لينضموا اليها ويمدوا في جملتنا من علماء المشرقيات في الغرب فاذا كانوا على مستوى اخواننا الذين انضموا اليها حتى الآن ولهم سابقة في خدمة لغتنا وآدابها ويرجى منهم خدمة لمجمعنا فاننا نوافق على ضمهم . فاكد له الرئيس انهم كلهم من الكفاة المشهود لهم وان لهم آثاراً تم عنهم في هذا الشأن فوافق المجمع على مقترح الرئيس وانفضت الجلسة الساعة السادسة .



ملاحظة

رأيت في اول صفحة من العدد الثاني لسنة ١٩٢٢ مانصه : واشتهر (قطرب)
بتأليف كثيرة لغوية منها كتاب (المثلثات) المطبوع في ماربورغ سنة ١٨٥٧ م بعناية
فيلمار وهي ارجوزة كان اول من جمعها .

هذه العبارة تقتضي بعض اصلاح او ايضاح وارجو من جناب محررها السماح
(١) كتاب المثلث لا المثلثات كما جرى عند الناس لم يطبع في علمي الى الآن
(٢) لم ينظم قطرب مثله وكتابه ككتابي تأليفه منشور وتوجد منه نسخ عديدة
في اوربا لاسيا في برلين عدد ٧٣ - ٧٠٧١ وفي باريس وليدن وعندي منه نسختان
تامتان بخط مغربي عادي واول الكتاب « هذا كتاب الفقه قطرب بن احمد البصري
سماه المثلث وهو حرف تراه في الكتاب على صورة واحدة ويتصرف على ثلاثة معان
فنه القنمر والغمر والخ »

(٣) اما الذي طبعه فيلمار في ماربورغ (لا ماربورغ) سنة ١٨٥٦ (لا ١٨٥٧) فهو
ارجوزة المزدوجة التي نظمها راجيه الدين عبد الوهاب بن حسن بن عبد الوهاب المهلي البهنسي
الشافعي المتوفى سنة ٦٨٥ (ترجمته في بغية الوعاة للسيوطي ص ٣١٨ وطبقات الشافعية للسبكي
ج ٥ ص ١٣٣) وهذه الارجوزة قد طبعت في مصر سنة ١٣١٥ منسوبة لقطرب نفسه مع
ان صاحبها قال في آخرها « نظمت في وصفي له مثلثا لقطرب » والارجوزة معزوة لأولها
المهلي موجودة في مكتبة برلين عدد ٧٠٧٤ و غوطا عدد ٦١٣٦ و ٤١٠ وان اقتضى رأيكم
الا صوب طبع كتاب مثلث قطرب فاني رهن اشارتكم لنسخه لكم احياء للرفات وانشاء الاموات
قد كان خطر ببالي للايضاحات المتعلقة بكتاب الازمنة زيادة تختص بتعريف
بعض العلماء المذكورين فيه كتعريف ابي تغلب عبد الوهاب بن علي الذي ترجمته
موجودة في كتاب الانساب للسمعاني في ظهر ورقة ٥٤١ وتعريف المعافى بن زكرياء
الذي عقد له السيوطي في بغية الوعاة فصلا ص ٢٩٤ ثم ظهر لي انه ربما لا يليق بالجملة
فوقفت القلم قبل الندم . . .

محمد بن ابي شبيب

الجزائر